

الندوة الدولية الأولى في التمويل
الإسلامي

الوقف الخيري والتعليم الجامعي

المنعقدة في رحاب كلية التجارة - جامعة الأزهر

القاهرة - جمهورية مصر العربية

في الفترة من 2 - 3 جمادى الآخر 1433هـ

الموافق 23-24 أبريل 2012م

أ.د/ زينب صالح الاشوح

أستاذ الاقتصاد - كلية التجارة بنات -

جامعة الأزهر

الوقف الجامعى للمدن الجامعية

(رؤية)

مقدمة :

فى بحث سابق تم تقديمه من قبل حول "دور الوقف الجامعى فى حل مشكلة العجز فى الموازنة العامة للدولة"، (1) تم توضيح مفهوم الوقف الجماعى على أنه "الوقف الذى يشترك فيه عدد من الأشخاص أو الجهات فى حبس مال أو أموال يملكونها، على جهة واحدة أو جهات متعددة بشروط معينة، فى عقد واحد أو عقود متعددة متلاحقة" (2)، كما اعتبر الوقف جماعياً أيضاً إذا ما كان الموقوف عليه يتمثل فى (جماعة) من الناس أو الجهات أو الفئات وفقاً للحكم الفقهي الذى اجتهد فى إصداره الإمام المقدسى (3).

ولقد انتهت الدراسة المذكورة إلى وضع بعض التصورات للأشكال المقترحة التى يوصى بأن يكون الوقف عليها للمساهمة الفاعلة فى معالجة عجز الموازنة العامة للدولة خاصة فى مصر، وكان أهم تلك الأشكال الوقفية المقترحة: الوقف النقدى، والوقف الإنتاجى / التشغيلى، ووقف العشوائيات، المحليات، والمدن الجديدة الاقتصادية التى من أجل تغطية احتياجات ذوى الدخل المحدودة، والشباب خاصة من حديثى التخرج.

أما الشكل العمومى الذى اقترح من أجل تنفيذ الوقف الجماعة ولكن بأسلوب أكثر فعالية وتحديداً وتميزاً، فهو (الوقف الذاتى) أو وقف (منهم واليه) والذى يتلاءم مع منهج المشاركة الشعبية المتحقق خاصة مع تنفيذ سياسات الإصلاح الاقتصادى التى تتطلب تضافر كل قوى الشعب فى عمليات التنمية الإيجابية الملائمة لحاق بركب التقدم العالمى الكبير.

الوقف من خلال بعض التجارب الشخصية (فى مجال المدن الجامعية تحديداً) :

وبالرجوع إلى بعض الأحداث المتزامنة مع ثورة 25 يناير 2011، شاء الله سبحانه أن أشهد وأتفاعل مع أكثر من حدث يرتبط كل بالمدن الجامعية

التابعة لجامعة الأزهر التى أشرف بكونى إحدى أعضاء هيئة التدريس داخل أروقتها بمحافظة القاهرة.

التجربة الأولى:

كان الحدث الأول قد تم - عرضاً - من خلال قراءتى للمنشور على صفحتى بالفيس بوك، وكان ذلك قبل بدء العام الدراسى الحالى (2011/2012)، حيث لاحظت أن احد الطلاب كان يكتب نداء إلى كل المشاركين بالفيس بوك من طلاب جامعة الأزهر كى يخبرونه بالتحديد عن آخر ميعاد للتقديم للمدينة الجامعية، خشية فوات ذلك الوقت وإضاعة فرصة التقديم عليه، وكنت أعلم أنه من طلابى فى تجارة الأزهر "بنين"، فنصحته بعدم الاكتفاء بإتباع ما يكتبه الآخرون له على صفحة الفيس بوك وبضرورة أن يذهب بنفسه إلى المدينة للسؤال وذكرته بالمثل المعروف "ما حك ظفرك مثل جلدك، فتول أنت جميع أمرك". ومن تلك الرسالة القصيرة، بدأت أحداث أول قصة سريعة لى مع المدينة الجامعية لطلاب بنين جامعة الأزهر فى تلاحق أحداثها الموجهة فى جانب منها، والمبشرة فى جانبها الآخر، بحيث نجم عنها موضوعاً يسترعى الدراسة والاهتمام.

فقد عرفت من الطالب المذكور بأن هناك إعاقة حركية خطيرة تجعل من تحركاته أمراً بالغ الصعوبة خاصة أن كانت تلك التحركات تحدث من خلال رحلة سفر وتنقل بين محافظات متباعدة المسافات، وقتها، تذكرت أن الله منحنى ما يعوض تلك الإعاقة الحركية التى يعانى منها الشاب المحترم، كما أننى أقيم فى ذات المنطقة التى تتواجد فيها المدينة الجامعية المعنية ويتواجد فيها أيضاً محل عملى بالجامعة، كما أن الله أنعم على بسيارة تتييسر معها تنقلاتى وتحركاتى، وذلك بالإضافة إلى أننى وقتها لم يكن لدى التزام مهنى بعينه، فقررت أن أشكر الله على كل هذه النعم التى حبانى بها وأعمل على

حمائتها من الاندثار بأن أودى حقها فى عمل شىء نافع يرتبط بالطالب المذكور، وزاد من حماسى لعمل شىء نافع فى ذلك الأمر أن تمتعى بمنصب علمى متميز فى الجامعة يمكن أن يدعم ما بدأت أفكر فيه من انجاز، فقامت على الفور متوجهة إلى المدينة الجامعية للبنين للسؤال عن وضع الطالب وللحصول له على مهلة زمنية إضافية أن تتطلب الأمر، وقررت أن أستغل منصبى فى عمل توصية بحسن معاملة الطالب والمصارعة فى تنفيذ إجراءات التحاقه بالمدينة.

وكان الله سبحانه أراد اختبار مصداقية إخلاص نيتى فى ذلك العمل، جائتني مهاتفة تليفونية من كليتي لإخبارى بوجوب حضوري إلى الكلية لاستلام مستحقات مالية لى، وبعد تفكير سريع قررت البدء بانجاز مهمتى المرتبطة بالطالب بشكلها الكامل، فإن تبقى وقت، فلأذهب إلى كليتي لانجاز شئونى اللازمة. وقتها، شعرت وكأننى (أوقفت) وقتى وجهودى وكل قدراتى وإمكانياتى وكان الموقوف له هو الطالب، وكان شكل الوقف "وقفاً مؤقتاً" لحين إتمام المهمة مناظ الوقف المذكور.

وبحمد الله، ومع متابعة الأمر مع الطالب من ناحية والمسؤولين ومن بيدهم زمام الأمور من زملاء آخرين من ناحية أخرى، تمت المهمة بنجاح يفوق كل تصور وأحسست براحة عميقة نتيجة للثمار الرائعة النفسية والمادية والروحانية والإنسانية التى ارتبطت بذلك الوقف "للحظى" أو "المؤقت" بفترة تحقيق خدمة تطوعية ما.

وبطبيعة الحال، فالوقف المشار إليه سابقاً لا يتمثل أبداً فى وقف نقدى، لكن يمكن القول بأنه وقف "معنوى" الطبيعة والخصائص والتوجيهات يقوم على (حبس) أو (استقطاع) جزء من الوقت الشخصى الذى يمكن استخدامه فى تحقيق مصالح شخصية ما، و(تخصيصه) من أجل تحقيق منافع للآخرين

من ذوى المطالب والحاجات، أو لنقل أنه "وقف خيرى" امتثالاً للحديث النبوى الحسن: "خير الناس أنفعهم للناس" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم 3289).

وما من شك فى أن ذلك النوع من الوقف يكون لأى أفضل أوضاعه بالبده بالوقف الخيرى للأهل وبذلك مثلما روى فى الحديث الصحيح "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم 3314)، وكذلك ما جاء فى الحديث الصحيح. "يا ابن آدم انك أن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، اليد العليا خير من اليد السفلى" (صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم 7834 - 1932).

التجربة الثانية :

فى خلال العام الدراسى، وأثناء مرورى بجانب مكان إدارى رئيسى بجامعة الأزهر، لاحظت وجود تجمع اعتصامى طلابى كبير فذهبت للوقوف على أسباب حدوثه ولمحاولة المشاركة - كعضو من هيئة التدريس - فى بحث مشاكل هؤلاء الطلاب وتقديم المساعدات الممكنة لهم أملاً فى تقليل حركة القلاقل التى أصبحت تعرقل سير العملية التعليمية بالجامعة فى ظل بقية الأحداث المتلاحقة بعد ثورة 25 يناير.

وعرفت من المعتصمين الذين كان بعض منهم طلاب لدى فى العام الماضى، أنهم لم يتم قبولهم بالمدينة الجامعية برغم حصولهم على التقديرات المطلوبة وذكروا أن هناك أماكن كثيرة شاغرة لكن الحجة هى عدم توافر (أسرة) بالعدد الكافى لتغطية متطلبات كل هذه الأعداد، وتوافقت ذلك التصريحات مع ما كان يذكره عدد من الحاصلين على تقديرات مرتفعة الذين نشروا على صفحات الفيس بوك مشكلة عدم قبول التحاقهم بالمدينة الجامعية على الرغم من ذلك، وكانت هناك نداءات من بعضهم للمساعدة فى ذلك

الأمر على غرار ما تم فعله مع الطلاب سالف الذكر. وعلى الرغم من مشاغلي، فقد قررت اقتطاع جزء من وقتي من أجل محاولة المساعدة في ذلك الأمر، وذلك من خلال مقابلة المختصين في ذلك الشأن، وعرضت التبرع بمبلغ مبدئي قيمته ألف جنيه من أجل تغطية بعض تكاليف توفير أسرة يمكن وضعها في جميع الأماكن الملائمة، بحيث يمكن توسيع دائرة سكني الطلاب المغتربين بالمدينة الجامعية، خاصة أن كانوا مستوفين للشروط المطلوبة من قبل الجهات المختصة. وقتها ذكر المسئول بأنه لا توجد مشاكل مادية، ووعد بحل المشكلة، حيث تم ذلك بالفعل في وقت لاحق.

التجربة الثالثة :

في أثناء تصفحي لمحتويات صفحتي على الفيس بوك مساء أحد أيام مارس 2012، لاحظت ترديد نداءات استغاثة من بعض طالبات جامعة الأزهر، واتضح منها أن أولئك الطالبات مقيمات بالمدينة الجامعية وأنهن يواجهن مشكلة صحية مرعبة، حيث اتضح أن هناك طالبة ماثبة بمرض السل الرئوي، ومع قيام المسؤولين بالمدينة باستبعادها، إلا أنه تم توزيع زميلاتها بالغرفة (وكان عددهن أربعة طالبات) على أقسام أخرى بالمدينة وهو ما يخشى مع انتشار المرض بين المقيمات بالمدينة، خاصة مع عدم إجراء فحوصات وتحاليل للتأكد من عدم وجود حالات مرضية أخرى مشابهة، ولا تم تعقيم الغرف، ولا تم إعطاء أمصال وقائية للطالبات على الرغم من المصل الواحد لا تتعدى تكلفته 16 جنيه مصري (وفقاً لتصريح إحدى الطالبات).

وفي الحال، تذكرت الحديث القدسي الصحيح الذي رواه مسلم عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: أن الله عز وجل يقوم يوم القيامة "يا ابن آدم مرضت ولم تعدني! قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعنني! قال: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين!؟

قال أما علمت أنه أستطعمك عبدى فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى؟ يا ابن آدم استسقيتك لم تسقنى! قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟! قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه! أما علمت أنك لو أسقيته لوجدت ذلك عندى؟" (رياض الصالحين، كتاب عيادة المريض، رقم 893). ووجدت أول ذلك الحديث القدسى وكأنه يدعونى لأداء حق المريض فى تلك المدينة الجامعية التابعة لمجال عملى، وزاد من حماسى واستنهاضى إلى وجب فعل شىء ايجابى ما، تذكرى لقوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة من آية 148)، كما ذكرنى ربى بالحديث الصحيح الذى يحث على تفريج الكروب وقضاء حوائج الناس "من أفضل العمل إدخال السرور على المؤمن، تقضى عنه ديناً تقضى له حاجة، تنفس له كربة" (صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم 5897).

وزاد من عزمى على حتمية المساعدة فى تلك المحنة برغم أننى لست من المسؤولين الموكل إليهم أية مهام فى ذلك الشأن ما تتابع فى ذهنى أيضاً من نصوص أخرى شرعية تحث على إعانة كل ذى حاجة خاصة ذلك الحديث الشامل الذى رواه مسلم عن أبى هريرة ١/ "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد، ما كان العبد فى عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به علمه لم يسرع به نسبه" (مختصر مسلم 1888). وفقاً لذلك الحديث، فإن طالبات المدينة الجامعية الآن يعيشون محنة وكرباً يتطلب مساعدتهم على تفريجه، وهم فى حالة حيرة

وارتباك فى كيفية نهج السلوك الصحيح المنايب للخروج مما يجتاحهم من أزمات، خاصة وأنهن مغتربات، وحيدات وفى عمر صغير نسبياً مقارنة بذلك الحدث الصحى خطير العواقب، وتم إجراء اتصالات متعددة ببعض الأطراف التى يعتقد فى إفادتها المباشرة فى حل المشكلة والمذكورة، واقترحت أن أتبرع بمبلغ ما مع جمع جنيه من كل مقيمة بالمدينة الجامعية وجمع تبرعات من آخرين قد يرغبون فى المساهمة الفاعلة فى معالجة المشكلة المعنية بأفضل شكل ممكن وذلك من خلال شراء وتوزيع كمادات واقية من انتشار العدوى بين المقيمات بالمدينة من ناحية، وبينهن وبين غيرهم من العاملين وزميلات الدراسة داخل مدرجات التعليم، وتم أيضاً اقتراح تحديد قائمة محددة بالمطلوبات الوقائية والعلاجية ذات الصلة مثل شراء الأمصال اللازمة وحقق المقيمات بالمدينة بها، وإجراء التحاليل والفحوصات اللازمة لهن وشراء العقاقير والأغذية المعالجة والمقوية للجهاز المناعى لأولئك الطالبات، وتوفير مستلزمات النظافة والتعقيم الكامل للغرف ولكل مكان بالمدينة الجامعية، خاصة دورات المياه.

وكانت هناك جدية تامة فى التنفيذ من قبلى، ولكن كان ذلك يتطلب من الطالبات المتضررات إعداد قوائم بالمستلزمات، وبتكاليفها وبأعداد الطالبات وبأعداد الغرف، ودورات المياه ... الخ، وطلبت منهن تكوين لجان فرعية منهن، كل لجنة تتولى مسئولية بعينها، واحدة لحصر عدد الطالبات وتدوين أسمائهن فى كشوف محددة، وأخرى تحديد أعداد حالات الإصابة والحالات الأخرى، وتحديد المستلزمات العلاجية لكل فئة، ولجنة ثالثة، لتحديد المستلزمات التشخيصية والعلاجية والوقائية (بحيث تتشكل تلك اللجنة من طالبات كليات الطب والصيدلة والعلوم لارتباط تخصصاتهن بالإجراءات المطلوبة)، ولجنة أخرى مسئولة عن أدوات ووسائل النظافة الصحية والتعقيم،

ولجان لانجاز عمليات النظافة بأنفسهن أو الإشراف عليها لضمان جدية وإتقان التنفيذ، بل وطلبت مساعدة إحدى المسئولات التى تربطنى بها علاقة طيبة من أجل دعم ذلك المشروع، وكذلك كان هناك بعض الطلاب الجادين قد أبدوا رغبة فى المساعدة على التنفيذ لأى دور يطلب منهم، معتبرين أن أولئك الطالبات هن ضيوف فى المحافظة التى يسكنها وأخوات يجب عليهم أداء حقهم فى الرعاية.

وعلى الرغم من جدية نوايا الأطراف الراغبة فى المساعدة، إلا أن الموضوع فشل فى الدخول إلى حيز التنفيذ، لتسرب كثير من الطالبات وسفرهن إلى بلادهن فراراً من الأزمة الراهنة، كما فضلت كثيرات وسيلة المظاهرات والاحتجاجات والاعتصامات وإثارة الانتباه الإعلامى واستئثار العواطف وأحاسيس الغضب ضد الجهات المسئولة كبديل يعتقد أنه الأفضل فى وجوب الإلتباع.

تصور موجز ومبدئى حول بعض الأبعاد والأشكال الأساسية المقترحة لوقف المدن الجامعية :
فى دراسة أجراها الدكتور/ صلاح فوزى (أستاذ القانون العام بكلية الحقوق جامعة المنصورة)، فى عام 2000، تم توضيح أن الموظفين فى المدينة الجامعية لجامعة المنصورة كان يقدر بموظفين لكل ثلاثة طلاب، وهو مؤشر على ارتفاع درجة كفاءة تقديم الخدمة بالمدينة الجامعية المذكورة الجامعية لجامعة الأزهر التى تعيناً فى المقام الأول بورقتنا هذه؟

الواقع أن الأمر يتطلب الحصول على عدد كبير ودقيق من البيانات التى يمكن استخدامها فى تكوين مؤشرات قياسية لدرجة كفاءة المؤسسة المذكورة، وذلك بالإضافة إلى المؤشر السابق الإشارة إليه تواء، ومن الأمثلة على تلك البيانات اللازمة:

- إجمالى عدد الطالبات (أو الطلاب) المقيمين بالمدينة.

- إجمالى المصروفات المدفوعة طوال العام الدراسى لكل طالبة (ومنها يمكن تقدير قيمة المتوسط الشهرى المدفوع من قبل كل طالبة باعتباره إيراد يدخل المدينة لتغطية تكاليف الإقامة وخلافه).
 - متوسط عدد المقيّمات فى كل غرفة.
 - هل كل طالبة تنفرد بسرير وحدها للنوم؟ وإن لم يكن الحال كذلك، فكم يتشارك فى النوم على ذات السرير.
 - متوسط تكلفة الوجبات اليومية المخصصة لكل طالبة.
 - حال الحمامات ووضعها النوعى.
 - نوع الخدمات المقدمة للمقيّمات بالمدينة (خدمات ثقافية، ترفيهية، رياضية، اجتماعية، تدريبية،
 - متوسط زيارات المسؤولين ومناقشة مشاكل المقيّمات ومدى التجاوب الفاعل مع تلك المشاكل.
 - الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمقيّمات بالمدينة الجامعية.
- ومن مثل تلك البيانات والمؤشرات المشتقة ذات الصلة، يمكن التعرف على نواحى القصور المادى والمعنوى وإعداد قوائم محددة لها، وبالتالى يمكن للراغبين فى المساهمة بأى من أشكال الوقف خاصة الجماعى من بين مجموعة هيئة التدريس أن يقوم كل بتحديد النوع الوقفى الراغب فى المساهمة به، سواء بالوقت أو بالمال أو بتوفير قطع أثاث أو سلع معمرة مثل الثلاجات والغسالات ومواد التعقيم وأدوية وقائية وعلاجية.
- وبالإضافة إلى ما سبق، يقترح قيام الطالبات القادرات بالمساهمة بذات الأنواع الوقفية أن يقمن بذلك، كأن تساهم طالبات الطب والصيدلة فى الأعمال العلاجية والاسعافية المبدئية أو الخفيفة، وتقوم طالبات اللغات والترجمة بوقف بعض وقتهن لإعطاء حلقات تدريبية لتحسين القدرات اللغوية للأخريات، ويمكن أيضاً القيام بالتبرعات النقدية بدءاً بجنيه واحد ووصولاً إلى

مبالغ أكبر وفقاً لقدرات الطالبات بحيث يعد من تلك المبالغ صندوقاً مخصصاً
لتحسين خدمة المدينة الجامعية ولمنح مكافآت رمزية للعاملين بالمدينة تشجيعاً
لهم لرفع مستويات الأداء.